



الفصل الثالث

إشباع حاجة الطفل

إلى الانتماء



❖ لا بدّ أن نوَكِّد في البداية أنّ الإنسان بطبيعة تكوينه هو كائن اجتماعي، وبالتالي فإنّه يحتاج دوماً إلى الانتماء لجماعة، حيث يكتسب ذاتيته ومكانته الاجتماعيّة، عندها يشعر بالراحة والسَّعادة والصفاء النفسيّ.

والفرد منذ أن يعي ذاته ويعي الآخرين من حوله يُحس أن حياته مرتبطة بجماعة الأسرة التي تكفل له كل احتياجاته عن طريق إشباع هذه الحاجات إشباعاً سويّاً وصحيحاً، فيحس بالانتماء إليها، وإلى كلّ فرد من أفرادها؛ فالأسرة هي أوّل جماعة ينتمي إليها الفرد، فهي التي يقترن اسمها باسمه، وتظلُّ تُصاحبه طوال مراحل حياته حتى وإن استقل عنها فيما بعد. ثمّ تتسع دائرة هذا الانتماء، فينتمي الفرد إلى جماعات أُخري عديدة كجماعة الرفاق والأصدقاء، وجماعة المدرسة، ثمّ الجماعات الدينيّة أو السياسيّة أو الرياضيّة... إلخ.

وللأسرة دورٌ مهمٌّ وحيويٌّ في اختيار هذه الجماعات التي ينتمي إليها الفرد (طفلاً أو مراهقاً)، فهي تُبصِّره بأهداف هذه الجماعات، وفوائدها أو مضارها، كماّ توجهه إلى أسس التعاون والمشاركة الاجتماعيّة السليمة، فلا غرو إذاً أن يكون لهذا الدور التوجيهي الذي تقوم به الأسرة قيمته وفائدته.

• نمو حاجة الطفل إلي الانتماء:

المرء في حاجةٍ إلي أن يشعر بأنَّه جزء من مجموع تربطه به مصالح مشتركة، تدفعه إلي أن يُعطي ويأخذ، وإلي أن يتلمس الحماية والمساعدة من هذا المجموع، كما أنَّه في حاجةٍ إلي أن يشعر بأنَّه يستطيع أن يمدَّ غيره بهذه الأشياء في بعض الأحيان .
وتتمو حاجة الطفل إلي الانتماء منذ الشهور الأولى، فالحُبُّ أو الألفة التي تتحقق داخل نطاق الأسرة سرعان ما تصبح ولاءً وانتماءً لهذا المجتمع الصَّغير، ثمَّ تنتقل هذه الحاجة للجماعات الأخرى التي يجد فيها الطفل إشباعاً لحاجاته النفسيَّة والاجتماعيَّة .

والطفل كعضوٍ صغيرٍ من أعضاء الأسرة يبدأ في الشعور بأنَّه ينتمي إليها، فكلُّما تقدَّم به العُمُر يزداد هذا الشعور رسوخاً .
وبالتفاعل مع أبويه يري أنَّه ينتمي أيضاً إلي آباء آخرين كأعمامه وأخواله، أو إلي أصدقاء الوالدين .

وقد تُتاح للطفل الفرص للاحتكاك بالأطفال الآخرين من أقرباء وأصدقاء، ونتيجة للعلاقات الدافئة الحانية بين الطفل وأمه؛ فإنَّه يتقبَّل الكائنات الإنسانيَّة الأخرى تقبُّلاً يتَّسم بالثقة، أو يتقبلهم كأناس ودودين، ثمَّ يتعلَّم كيف يكون ودوداً نحو الآخرين، وأنَّ يجد أناساً يُحبُّهم ويحبُّونه .

وبمرور السنين يُدرك الطفل أن الانتماء هو الشيء الذي يلقي تقديراً، وأنَّ المودة نحو الآخرين هي التي تجعلهم يرغبون في صداقته، ولذلك فهو يتوقع أن يكون جزءاً من الجماعة التي يشترك فيها حتى يشعر بالانتماء لا النبذ والاغتراب.

ونوه٠ بأنَّ هناك عدداً من الآباء والأمهات يبتون في أطفالهم اتجاهات سلبية نحو نبذ الآخرين، وعدم التودد مع النَّاس إلاَّ في حدود ضيقة جداً، عملاً بالمثل الشعبي المصري الذي يقول «الاختصار عبادة»٠ وهنا يستلزم من هؤلاء الآباء والأمهات إعادة النظر فيما يتبنونه من اتجاهات، حيث لا يمكننا تصور حياة بدون أهل أو أصدقاء، لأنَّه كما قلنا من قبل، فإنَّ الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته، فكيف ننكر هذه الحقيقة هكذا دون سند أو مبرر؟!

وهناك حالات ينشأ الطفل فيها بقدرٍ ضئيلٍ من الانتماءات، كأن يكون وحيد والديه، وهنا يتحتم تشجيع مثل هذا الطفل علي إقامة علاقات اجتماعية مع أصدقائه وأترابه بشكلٍ أكبر ممَّا لو كان له إخوة أو أخوات.

أيضاً يحس الطفل بعدم إشباع رغبته إلي الانتماء إذا كان غير مرغوب فيه من أصدقائه أو زملائه؛ لأنَّه يميل مثلاً إلي العدوانية أو الأنانية أو التسلُّطية٠ وهنا يتحتم علي الآباء والمربين معالجة الانحرافات السلوكية للطفل بأساليبٍ علميةٍ وطرق

تربوية؛ لأنه عندما ينشأ الطفل في هذه الظروف غير المواتية لإشباع حاجته إلي الانتماء، فإنه يحس بالنبذ والاعترا ب وبالتالي يُصاب بالإحباط، ممَّا يصيب صحَّته النفسية بالخلل والترديّ.

• كيف نكتشف حاجة الطفل إلي الشعور بالانتماء ؟

يحتاج الطفل بطبيعة الحال إلي الانتماء من خلال تكوين صداقات مع الآخرين، وأن يصبح عضواً فاعلاً ونشطاً في جماعة ما من الجماعات، فإذا لم يُحقِّق هذا شعر بأنه مهمل أو غير مرغوب فيه، ومن ثمَّ يُعبِّر عن رغبته هذه بطرق كثيرة، فنجده يقول مثلاً: « لماذا لم يقع عليّ الاختيار كي أكون عضواً في جماعة الصحافة المدرسيَّة ؟»، أو «لماذا لا يودُّ زملائي في المدرسة محادثتي في التليفون ؟».. إنَّ مثل هذه التساؤلات وغيرها تدل علي نقص حاجة الطفل إلي الانتماء.

وعندما يقول الطفل: «أتمني لو أن والديَّ يسمحان لي بدعوة أصدقائي المقربين إلي منزلي لنقضي سوياً وقتاً ممتعاً مثلما تفعل أسرة تامر».. عندها لابد أن يتيقن الوالدان أنَّهما يُضيقان الخناق علي الطفل ويحصرانه في دائرة لا تستوعب أيّاً من أصدقائه أو رفاقه.

وعلي هذا يتحتم أن يُسمح له باستضافة أصدقائه إلي المنزل
ليشاركوه مناقشته المختلفة، بل وينبغي الترحيب بهم والعناية
بضياقتهم؛ فإن مثل هذه الأمور خليقة بأن تجعل الطفل فخوراً
بأسرته، مُعترزاً بالانتماء إليها.

أمّا عندما يقول الصغار عبارات، مثل: « إنني لم أرغب قط في
مصاحبة هؤلاء الأطفال»، أو: « أنا لا أحب التعامل مع هؤلاء»^{١٠}
فينبغي أن ندرك أن الطفل إنما يشعر بالنبذ والاعتراب، ولكنه
يأتي الاعتراف بذلك، وبالتالي فهو كثيراً ما يأتي بعبارات التعلُّل
أو التمنُّع، وعندها نعرف علي الفور أن الطفل يُعاني من مشكلات
سوء توافق أو سوء تكيف مع الآخرين.

ولهذا يتحتم التصدي لهذه المشكلات التي تواجه الطفل
وعلاجها، بحيث يستطيع أن يتكيف تكيفاً سويّاً وسليماً مع
الآخرين.

كما تتجلى حاجة الطفل إلي الانتماء في الطريقة التي
يتصرف بها، فإحساسه بأن الجماعة تنبذه يجعله يُفضّل البقاء
علي هامش النشاط الجماعي، فهم يُؤثر أن يكون متفرجاً لا
مُشاركاً، ولذلك كثيراً ما نراه يلجأ إلي الانفراد بنفسه، ويتحاشى
الاختلاط بالآخرين.

وأحياناً يشعر الطفل بالحاجة إلي الانتماء بدرجةٍ يتحوَّل معها إلي العدوانيَّة، فقد يحاول شقَّ طريقه عنوة داخل الجماعة ليشاركهم أنشطتهم، وعندما تطلب منه الجماعة المُشاركة في الأنشطة أو الأعمال المختلفة نجده يرفض هذه الدعوة رفضاً مبالغاً فيه، يتَّسم بالتحدي.

وقد تظهر حاجة الطفل إلي الشعور بالانتماء بصورةٍ عميقة إذا همَّ والداه بإرساله مثلاً إلي مدرسة داخلية؛ ليعيش فيها بعيداً عن المنزل لظرفٍ من الظروف، أو إذا أُجبر علي أن يمكث في حجرته دون الخروج منها إذا ما جاء زوَّار إلي المنزل، أو عندما يُطلب منه ترك حجرته الخاصَّة أو فراشه الخاصَّ ليستعمله الضيوف، أو إذا تُرك في المنزل وحيداً أو مع مربية وهو يعلم أن والديه ذهباً في نزهةٍ، وكان يتمني في قرارة نفسه لو صحَّباه معهما كما يفعل باقي الآباء والأمهات مع أطفالهم. كلُّ هذه التصرفات تزيد من شعور الطفل بالحاجة إلي الانتماء لأنَّه يحس بالنبذ والاغتراب ممَّا يترتب عليه أسوأ النتائج.

● كيف نشبع حاجة الطفل إلي الانتماء ؟

«ينبغي علي الأسرة وهي تقوم بالتنشئة الاجتماعية ألا تهمل الجانب الروحي في إطار التكامل الانتمائي لها، ولهذا الجانب عدة مبادئ يجب علي الأسرة غرسها في أطفالها، منها:

● الإيمان المُطلق بالله سبحانه وتعالى الذي يرعى الكون من منطلق عدالته ورحمته، ويتدبر أمور النَّاس من صحَّة ورزق وسعادة.

● الإيمان بقيمة الإنسان وتفردُه عن سائر الكائنات بمأ وهبه الله سبحانه وتعالى من عقل ورؤية وبصيرة ومشاعر وأحاسيس.

■ أن تقوم الأسرة بإشباع حاجات أطفالها البيولوجية والنفسية والاجتماعية، وأن يسود الأسرة جوٌّ من الهدوء والسكينة والأمن والحب؛ لأنَّ هذا يُساعد علي شعور الأطفال بإشباع حاجاتهم إلي الانتماء.

■ أن تقدِّم الأسرة لأطفالنا المثل الأعلى والقذوة الصالحة كنماذج سوية يُحتذى بها.

■ يجب أن يشعر كلُّ طفل بذاتيته، وبأنَّه جزءاً لا يتجزأ من قوام جماعته التي ينتمي إليها.

■ أن يُشارك الطفل فيما يقوم به الآخرون من أنشطة أو أعمالٍ حسب قدراته وإمكاناته؛ لأنَّ ذلك يُشعره بالسرور والبهجة.

■ لا بدَّ أن يُشارك الأطفال في الحفلات والندوات والمعسكرات والرحلات؛ لأنَّ هذا يجعلهم يحسون بأهميتهم وبمدي انتمائهم إلي الجماعة.

- أن يُعوّد الأطفال علي الإنتاج المادي والمعنوي انطلاقاً من أن الشخصية السويّة هي الشخصية المنتجة .
- أن تتكاتف الأسرة والمدرسة وسائر المؤسسات والهيئات الأخرى المتواجدة في البيئة المحلية لشغل أوقات الفراغ بالنسبة للأطفال وخصوصاً في أثناء العطلات المدرسيّة .
- أن تنظم المدارس رحلات تتسم بصبغة تاريخية لزيارة الأماكن الأثرية والمتاحف والمعارض، بهدف ربط الأطفال بتاريخ بلادهم ومن ثمّ يتم تحقيق الانتماء التاريخي .
- الاهتمام بإحياء التراث والمحافظة عليه مع تطويره بما يتلاءم مع متطلبات الوقت الراهن .
- الاهتمام بتدريس اللّغة العربيّة في المدارس؛ لأنّها تُعتبر بمثابة الوعاء الذي يغترف منه أبناء الأمة وجودهم وبقاءهم .
- المحافظة علي مُعتقداتنا وقيمنا المُستمدة أساساً من جوهر الأديان السماويّة، حتى نظل شعباً متميزاً في ظلّ مغيرات القرن الحادي والعشرين الذي يتميّز بالتفتّت أو التشظي فيما يُعرف باسم « العولمة » Globalization .

